الحلقة 3

بايعت النبي الكريم وهاجرت وروت الأحاديث

أم حرام الأنصارية .. شهيدة البحر

إعداد: هشام المنشاوي

الإسلام أكرم المرأة أيما إكرام، بنتاً كانت زوجاً أو أمّاً، أو أختاً، وقد ذكر القرآن الكريم عدداً من النساء اللائي كان لهن دور بارز في تاريخ البشرية كحواء وأم موسي وزوج فرعون و مريم بنت عمران، ونزلت آيات من القرآن في عدد من النساء وأفردت من القرآن للنساء سورتان هما سور النساء وسور الطلاق، وتحدث القرآن عن المؤمنات اللاتي جئن إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم مبايعات أو مهاجرات كما بينته صورة الممتحنة، وما ذاك إلاّ لأن للمرأة دوراً كبيراً في المجتمعات .

إن المرأة المسلمة تقع تحت ضغوط تكاد تبعدها عن منابع الإسلام الأولي وتحول بينها وبين تفهم رسالته، لهذا كان علي المرأة المسلمة: أن تتعرف علي نساء الرعيل الأول من صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم، بمعرفة سيرهن وأخبارهن، لتدرك الحال التي كن عليها ولتجعل منهن قدوة حسنة ومشاعل تنير أمامها الطريق وستجد الأخت المسلمة بين دفتي هذا البحث أربعين نموذجاً من سير الصحابيات الجليلات اللاتي صحبن فجر الدعوة وشاركن فيها وارتفعن بالإسلام إلي آفاق سامية ما كن يستطعن الوصول إليها لو لا صدق الإيمان وإخلاص العمل، لقد كانت كل واحدة منهن مثالاً قديراً لمن أيّد الدعوة وحمل الراية، ودافع عن الحق ووقف كالطود الشامخ من حول رسول الله صلي الله علين وسلم يؤيده ويناصره وعسي أن يكون في هذا السلسلة من الحلقات التي تقدمها جريدة "الوسط" ما يقود خُطا النساء والمسلمين علي طريق الإيمان، ومما يذكرهن بحياة تلك النسوة اللائي هانت عليهن في سبيل الله المكاره وأفضي يقين الإيمان إلي قلوبهن وسيطر علي نفوسهن وعقولهن، فآثرن الآجل علي العاجل والدائم علي الفاني، ففزن برحمة الله ورضوانه.

المرأة في عصرنا هذا قد إبتعدت كثيراً عن الكتاب والسنة وما كانت عليه الصحابيات رضي الله عنهن ونساء فجر الإسلام اللاتي لا يتحدثن مع أجنبي إلا من وراء حجاب في الأمور الضرورية ولا يخضعن بالقول حتى لا يطمع الذي في قلبه مرض .

اذا نظرنا لأي مجتمع في الوجود نجد بأنه يتكون من الرجال والنساء، ولكل دوره ومكانته الإنسانية والقيادية والاجتماعية وعلى هذا فإن المجتمع الذي كوّنه النبي صلى الله عليه وسلم كان مجتمعا مثاليا وساميا بمعنى الكلمة، فهو المربي الرباني الأول، والصحابة رباهم القرآن التربية الإيمانية الكاملة التامة، فأخلصوا لدينهم وأحبوا مربيهم، فكانت الإنجازات الباهرة في فترة محدودة وعلى جانب آخر برز لنا دور النساء والمساند لدور الرجال، إما أمهات أو زوجات أو بنات أو أخوات تربوا على مائدة الرسول صلى الله عليه وسلمن وكانوا خير معين للصحابة الكرام في جميع المجالات: العلمية منها، والجهادية (القتالية)، والطبية...فظهرت الفقيهات منهن والمقاتلات والطبيبات...وعلى كافة الأصعدة، وتميزن برجاحة العقل وصواب الرأي، فهن بهذا يستحققنّ بأن يكنّ قدوة ساطعة عبر التاريخ لمن بعدهن. فجاء هذا الكتاب، ليسلط الضوء على النساء الجليلات اللاتي ساندن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين . لقد نزل الإسلام دينًا حسنًا يُدافع عن المظلوم دون النظر إلى جنسيته وعرقه وجنسه ومنشئه فالإنسان هو الإنسان من أيّ أرض كان، وما زال يعتني بالمرأة حتى كانت وصية رسول الله –صلّى الله عليه وسلم– قبل موته لأصحابه فهنّ القوارير ولكن مع الانفتاح العالمي والتأثر بالعالم الغربي بدأت تتشكل حول العيون الإسلامية بعض الغشاوة في أنّ القانون الغربي يرفع من شأن المرأة .

- استجاب الله لها وحقق املها حيث استشهدت في غزوة قبرص
- بشارة رسول الله رافقتها أينما حلت وأينما ارتحلت لأن الإيمان ملأ قلبها
- قبر أم حرام لواء يسترشد به السارون ومنارة تنير سبيل السالكين

مسجد شهيدة البحر في قبرص

شواطئ مدينة قبرص التي شاركت في غزوها

فماذا ينقص أم حرام حتى تكون فردا من أفراد تلك الأسرة المؤمنة المجاهدة .

أليست من آل النجار أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

بشارة رسول الله ترافقها أينما حلت وأينما ارتحلت، الإيمان بالدين يدفعها، والقدوة من أفراد أسرتها تسيرها، والطمع في جنة الخلد هدفها.

بعد أن اسلمت أم حرام وعندماآن الأوان وأذن الله لرسوله بالهجرة، كانت قباء أول مكان ينزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضواحي المدينة، وهي سكن لبني عمرو بن عوف. وعبادة بن الصامت منهم وزوجته أم حرام من بني النجار أخوال رسول الله.

ولعل أسعد أيام أم حرام، كانت الأيام التي استضافت فيها قباء رسول الله وصحبه، فقد سمعت عن كثب أقواله عليه الصلاة والسلام، ورأت كثيرا مما غمض عليها من أمور دينها. وبايع الناس رسول الله، وبايعت النساء، وذلك بأن يقررن بأنفسهن بألا يشركن بالله شيئا فإذا قلن ذلك بألسنتهن، قال عليه الصلاة والسلام أقد بايعتكن، وعلى رأسهن بايعت أم حرام وأم سليم أختها.

ولم تبقى أم حرام حبيسة بيتها، قعيدة في زاويته مستسلمة مستكينة، والمسلمون يغزون في كل مكان، لا بد أنها كانت مع أختها أم سليم ومثيلاتها من النساء، يرافقن الرجال إلى الغزوات والمعارك، لهن أعمال كثيرة محددة وأدوار هامة تحصل في الخطوط الخلفية من المعارك لإحراز النصر، إنها أعمال الجندي المجهول وأم حرام جاهدت في أواخر حياتها فكيف لا تكون مجاهدة في شباب؟

فقد ساهمت في معارك أحد وحنين والخندق والفتح والطائف مع زوجها عبادة رضي الله عنه.

كما كانت أم حرام داعية للدين، تعلم النساء حولها، وتتلقط من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما تسمعه منه، لتعيه ذاكرتها، ثم تسرده على مسامع لداتها وأترابها، فتروي ذلك عن رسول الله. وحديثها في جميع الدواوين. ويقول عنها كتاب سير أعلام النبلاء إنها كانت من علية القوم. وقد حدث عنها ابن أختها أنس بن مالك وغيره.

قبض عليه الصلاة والسلام، ونبوءته عن أم حرام لم تتحقق في حياته.

وفي خلافة أبي بكر اتجهت الفتوحات إلى العراق أولا ثم إلى بلاد الشام ثانيا، وكلها جيوش متدفقة نحو اليابسة، إذ لم يفكر أحد أثناء خلافته رضي الله عنه أن يغزو في البحر.

وأتم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما بدأه الصديق، فلم يفكر في غزو البحر مطلقا لولا أن جاءته رسالة من معاوية بن أبي سفيان، وكان واليه على الشام. جاء في تاريخ الطبري .

(ألح معاوية وهو وال على الشام من قبل عمر، أن يذهب لغزو قبرص ولج عليه حتى قال: إن قرية من قرى حمص يسمع أهلها نباح كلابهم، وصياح دجاجهم . حتى كاد يأخذ بقلب عمر).

والروم كانوا قد جعلوا من قبرص مركزا لهم، لغزو المسلمين في الشام فكان لا بد من تحريرها وتطهيرها من سيطرتهم. ولم يكن للمسلمين عهد بغزو البحر؟ لذلك فوجيء عمر بإلحاح معاوية. وجعل يفكر في غزو البحر وصعوبته، فلم يجد أعرف بذلك الأمر من عمرو بن العاص، فكتب إلى عمرو يقول: (صف لي البحر وراكبه فإن نفسي تنازعني إليه) فرد عليه عمرو بن العاص قائلا : (إني رأيت خلقا كبيرا، يركبه خلق صغير. ليس إلا السماء والماء، إن ركد خرق القلوب، وإن تحرك أزاغ العقول. يزداد في اليقين قلة والشك كثرة، هم فيه كدود على عود، إن مال غرق وإن نجا برق). فلما قرأ عمر الكتاب كتب إلى معاوية: (والذي بعث محمدا بالحق، لا أحمل فيه مسلما أبدا، وقد بلغني أن بحر الشام يشرف على أطول شيء من الأرض، فيستأذن الله في كل يوم وليلة أن يغرق الأرض؟ فكيف أحمل بالجنود على هذا الكافر المستصعب. وبالله لمسلم واحد أحب إلي مما حوت الروم).

وبقيت فكرة غزو البحر تراود معاوية، إلى أن، قتل عمر بن الخطاب وتولى عثمان بن عفان فكتب إلى عثمان رضي الله عنه، ولم يزل به حتى وافقه على ركوب البحر.

ومنذ ذلك اليوم بدأ غزو البحار، فكان معاوية أول من بدأ بذلك حين وافق عثمان على عرض معاوية، كتب له: (لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم خيرهم، فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه). ففعل معاوية. واستعمل على البحر (عبد الله بن قيس الجاسي) حليف بني فزارة. فغزا خمسين غزاة بين شاتية وصائفة في البحر، ولم يغرق فيه أحد، ولم ينكب . وربما كانت هذه الغزوات الناجحة هي التي شجعت معاوية على ركوب البحر.

ترامى إلى مسامع أم حرام، وهي في قباء، استئذان معاوية من عثمان أن يغزو في البحر وموافقة عثمان على ذلك. فتذكرت نبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانت قد وصلت إلى خريف العمر، وبلغت من الكبر مرحلة لا تستطيع أن تجاهد فيها. لكنها تلهفت لركوب البحر والجهاد في سبيل الله. ألم يقل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت من الأولين ؟ إنها لا تطمع بمغنم ولا تتوق لفوز، ولكن رغبتها في الجهاد هي التي كانت تدفعها. وطلبت من عبادة زوجها أن يستأذن لها عثمان بن عفان، وألحت في طلبها، حتى وافق لهما عثمان بمرافقة الجيش. كما أذن لغيرهما من كبار الصحابة أمثال أبي ذر الغفاري وأبي الدرداء وغيرهما.

وآن وقت التنفيذ وجهزت السفن أسطولا لغزو قبرص. فركبت أم حرام مع زوجها عبادة إحدى السفن، مع الفاتحين المسلمين، وجلست تتأمل البحر وما حولها: إنهم فعلا كالملوك على الأسرة، وإذا بنبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلم تتردد في أذنيها: كالملوك على الأسرة، أنت من الأولين. وتحس فعلا أنهم كالملوك على الأسرة مع يقينها أنها من الأولين. وشرعت تحدث من حولها بنبأ تلك النبوءة وتفخر وتسعد بذلك. وانتهت المعركة واستعدت الجيوش للعودة من حيث جاءت وقد غنمت وما غرمت . وبدأت ترجع إلى الشام على سفنها، كالملوك على الأسرة. وتهيأت أم حرام للعودة، متوكلة على الله. ولكنها كانت قد أسنت وضعف جسدها، ووهنت قوتها، فقربوا لها بغلة تمتطيها، لتوصلها إلى السفينة المعدة لها. فزلت قدمها وسقطت على الأرض، لا تقوى على النهوض. أسرع إليها زوجها عبادة رضي الله عنه، وعدد من كبار الصحابة يساعدونها ويسعفونها لكنها كانت قد لفظت أنفاسها الأخيرة. مطمئنة النفس باسمة الثغر مشرقة المحيا. فنقلوها إلى حيث قاموا بتجهيزها ثم دفنها وذلك في العام السابع والعشرين من الهجرة.

الخاتمة: فإن قبر أم حرام في قبرص لواء يسترشد به السارون ومنارة تنير سبيل السالكين. وقدوة لكل من يريد الجهاد في سبيل الله. وأهل قبرص المسلمون منهم وغير المسلمين حين يمرون بقبرها يقولون: هذا قبر المرأة الصالحة.

ونحن إذ نعيد ذكراها وننفض الغبار عن تاريخها، لا يسعنا إلا أن نقف إجلالا لسيرتها الزكية، وحديثها العطر، وأن ندعو لها رضي الله عنها، وأن نجعل منها رائدة وقدوة في سيرتها وجهادها، وعطائها الذي لا ينضب من شبابها حتى شيخوختها.

هي ام حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن عدي بن النجار الانصاريه النجاريه المدنية.

اخت ام سليم وخالة انس بن مالك خادم رسول الله صلي الله عليه وسلم وزوجه عبادة بن الصامت واخواها سليم وحرام اللذان شهدا بدرا واحدا واستشهدا يوم بئر معونة، وحرام هو القائل عندما طعن من خلفه برمح: فزت ورب الكعبه كانت ام حرام رضي الله عنها من علية النساء اسلمت وبايعت النبي الكريم وهاجرت وروت الاحاديث وحدث عنها انس بن مالك وغيره.

كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يكرمها ويزورها في بيتها ويقيل عندها فقد كانت هي واختها ام سليم خالتين لرسول الله صلي الله عليه وسلم اما من الرضاع واما من النسب لذا تحل له الخلوة بهما.

يقول انس بن مالك رضي الله عنه: (دخل علينا رسول الله صلي الله عليه وسلم ماهو الا انا وامي وخالتي ام حرام فقال: (قوموا فلأصل بكم ،فصلى بنا في غير وقت صلاة). وكانت ام حرام رضي الله عنها تتمني ان تكون مع الغزاة المجاهدين الذين يركبون البحر لنشر الدعوة وتحرير العباد من عبادة العباد الى عباده الله وحده.

فاستجاب الله لها وحقق املها حيث تزوجت من عباده ابن الصامت وخرجت معه واستشهدت هناك في غزوة قبرس. يقول انس رضي الله عنه.

كان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا ذهب الى قباء يدخل على ام حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت ام حرام زوجه عباده بن الصامت فدخل عليها رسول الله صلي الله عليه وسلم يوما فأطعمته ثم جلست تفلي رأسه فنام

رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك.

فقالت ام حرام: ما يضحكك يارسول الله؟. قال: (ناس من امتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثج هذا البحر ملوكا على الاسرة او مثل الملوك على الاسرة).

فقالت ام حرام: يارسول الله ادع الله ان يجعلني منهم.

فدعا لها ثم وضع راسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك.

فقالت ام حرام: يارسول الله ما يضحكك؟.

فقال صلي الله عليه وسلم ناس من امتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله مثل الملوك على الاسرة).

فقالت: يارسول الله ادع الله ان يجعلني منهم. فقال انت مع الاولين).

قال– يعني انس بن مالك رضي الله عنه.

فخرجت مع زوجها عباده بن الصامت فلما جاز البحر ركبت دابة فصرعتها فقتلتها

وكانت تلك الغزوه غزوه قبرس فدفنت فيها وكان امير ذلك الجيش معاوية بن ابي سفيان في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنهم جميعا. قالت أم حرام: إنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أول جيش من أمتي يركبون البحر قد أوجبوا. قالت أم حرام: يا رسول الله: أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم (الحلية ج / 2 / 62).

إن من البطولة أن تذهب المرأة للجهاد وفي سبيل الله، ومن البطولة أن تموت غازية في أرض بعيدة، ثم تدفن فيها.

فالثبات على المبدأ، والخروج للجهاد في سبيل نشره، والموت دفاعا عنه، يعتبر من النوادر بالنسبة للرجال فكيف الأمر بامرأة كأم حرام؟ أمران هما العجيبان في أمر أم حرام: أولهما أنها امرأة مصرة على الجهاد في سبيل الله، شابة وكهلة. فقد طلبت من رسول الله في شبابها أن يدعو لها بأن تكون من المجاهدين مع الرجال. وقد جاهدت فعلا في كهولتها. وثانيهما أن تكون منيتها في قبرص، في وسط البحر الأبيض المتوسط، بعد أن جاهدت مع الرجال وهي في سن الكهولة.

لكن ما يزيل عجبنا، أن أم حرام نبعت من أسرة أساسها الإيمان، وهدفها الجنة، ووسيلتها الجهاد في سبيل الله. فأخوها حرام بن ملحان هو القائل يوم بئر معونة فزت ورب الكعبة وأختها أم سليم، كانت ندا للرجال في المعارك. وابن أختها أنس بن مالك، معروف في ملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومشاركته له في كل الغزوات. وزوجها عبادة بن الصامت هو الصحابي الورع المناضل المجاهد.

شاركت مع الفاتحين معارك البحر الاولى

قبرص حاليا

اخذها زوجها معه في غزواته